المجتمع الذى يعيش فيه . كان فيض الربيع المنبعث من الأعماق هو فيض الحرية أو النمو والانطلاق .

كان العقاد يحب أن يستطلع فى الشعر ثقافة الحرية . كان العقاد يرى أن بعض الشعراء ينظم الشعر لأنه تعلم العروض ودرس البيان والبديع وما إليهما من أصول الصناعة . هم كانوا يتعلمون هذه الأصول ، ويطبقون ماتعلموه فيما نظموه ، فكانت دواوينهم أشبه شىء بكراسات التطبيق فى معاهد التعليم . ولكن هذا عنده لايكفى للتوضيح . وتمام التوضيح فى نظر العقاد أن نقرن بين صناعة العروضيين والعجز عن تذوق الحرية أو الركون إلى الملالة والضرورة . وليس للجمود الذى ينعت به الشعر فى بعض العصور من معنى بمعزل عن فقد حاسة أصلية . والتطبيق العروضى أو البيانى أو البديعى يجب إذن ألا يكتفى فى الإشارة إليه برسوم اللغة ، فرسوم اللغة لا حياة لها بمعزل عن نشاط النفس وعوائق هذا النشاط .

إن الدارسين يتحدثون كثيرا عن موانع متعددة : سلطان الأجنبى ، وغلبة الأعاجم ، وقلة العلم بالأساليب الفصيحة ، وندرة الكتب القيمة بين أيدى المتعلمين ، على نزارة عددهم وانقطاع الصلة النفسية بينهم وبين شعبهم .

ولكن الإطار الأكبر لهذه الموانع جميعا هو فتور الحياة القومية منذ زمن طويل . العقاد اذن يحب ان يتلمس الأصداء البعيدة والقريبة للروح القومى ، إن العقاد لم يطلب قط من الشعر أن يكون منشورا سياسيا ، ولم يطلب قط من دارس أن يكون الشعر ترجمانا مباشرا لشىء سواه . ولكنه كان يطلب ـ على الدوام ـ أن نصنع ثقافة للشعر من داخله ، ولم تكن الثقافة الداخلية للشعر بمعزل عن أهم جانبين فى حياة العقاد وعقله وهما الحرية القومية والحرية الفردية . وكثيرا مايكون الشعر فى ظاهره متميزا عن هذه الحرية . ولكن العقاد لايمل لأنه يؤمن بالمسارب الخفية والتأثيرات المتشعبة المتداخلة ، والمسافات غير القصيرة بين الشعر ومايجرى فى خارجه .

وقد درس كثيرون شعر حافظ وقسموا شعره أقساما متميزة ، وعنوا بلغته وحظه من معرفة الشعر القديم ، وربما قالوا إن حافظا كان حظه من الخيال أقل من حظ شوقى ، وربما عرجوا على شعور حافظ بالبؤس وقدرته على مشاركة الشعب فيما يجده . ولكن العقاد يختلف مع هؤلاء الدارسين بعض الاختلاف . لديه هم لايزول